ولا يخلق فيه الذنب فتكون ذلك كالزجر عن المعصية نعم قول من قال انها خاصية
في نفس الشخص او في بدنه يمتنع بسببها صدور الذنب عنه فاسد عقلا ونقلا
اما الاول فلانه لو كان الذنب ممتنعا لذلك لما استحق المعصوم مدحا على عصمته
ولا امتنع تكليفه بتركه واللازم باطل والا لبطل في حقه الامر والنهي والثواب
والعقاب واما الثاني فمثل قول الله تعالى في حق نبيه انما انا بشر مثلكم وقوله
تعالى ولولا ان ثبتناك الاية فان الاية الاولى تدل على ان النبي صلى الله عليه
وسلم مثل الامة حتى في جواز صدور المعصية منه والاية الثانية تدل على ان الله
تعالى ثبته على عدم الركون اليهم ولا الركون اليهم فيكون الركون اليهم الذي هو
ذنب غير ممتنع ثم قال تنبيه لوح في الطوالع الى ان الهيئة النفسانية لا تصير ملكة تمنع
عن الفجور الذي هو ارتكاب المعاصي واجتناب الطاعات الا بعد علم صاحبها
بمثالب المعاصي ومعايبها ومناقب الطاعات ومفاخرها لان الشخص اذا علم مثالب
المعاصي ومناقب الطاعات فرغب في الطاعات ورغب عن المعاصي واطاع
ولم يعص صارت تلك الهيئة راسخة وتتاكد هذه الملكة في الانبياء بتتابع الوحي
على تذكر ذلك العلم والاعتراض على ما يصدر عنهم ولو سهوا والمعاتبة حتى على
ترك الاولى فانه متى صدر عنهم شيء سهوا او تركوا ما هو اولى لم يتركوا مهملا بل
يعاتبون وينبهون على ذلك ويضيق الامر فيه عليهم والله اعلم وقال شيخنا
العبادي رحمه الله في اياته ما حاصله ان القوم عرفوا العدالة بانها ملكة تمنع
عن اقتراف الكبائر وصغائر الخسة والرذائل المباحة واتفقوا على حصولها لكثير
من احاد الامة وانها غير مختصة بالانبياء وحينئذ يلزم ثبوت العصمة لاحاد
الامة عن الكبائر وصغائر الخسة والرذائل المباحة فيلزم اما بطلان تعريف
العدالة او اختصاص العصمة بنوع الانبياء من ابين ما الفهم الا ان يراد بالملكة
هنا ما يمنع ابدا بخلافها في العدالة اذ قد تحصل في وقت دون وقت كما يفهم من كلامهم
وقد يدعى ان العصمة كذلك بدليل اختلافهم في حصولها قبل النبوة الا ان يجاب
بان المراد ما يمنع ابدا بعد حصوله وقد يرد عليه قضية الملكين الا ان يراد انها
تمنع ابدا ما دامت حاصلة وما صدر من الملكين انما صدر بعد سلبها اذ لا مانع
من انه تعالى خلق تلك الملكة ثم يسلبها لانه تعالى اذا جاز سلبها ارتفعت الثقة
بصاحبها من نبي او ملك لانا نقول يجوز ان تجري عادته تعالى بانه لا يسلبها
الا مع الاعلام بذلك فما لم يحصل الاعلام لا يحتمل عادة سلبها انتهى ومن كلام
الشهاب القرافي في الفرق بعد الاشارة اليه ونصه في شرح المحصول فان قلتم
ان معنى العصمة ان لا يصدر عن الانبياء معصية اشكل بكثير من الصبيان الذين
بلغوا او ماتوا قريب بلوغهم من غير ان يعصوا فقد صدق معنى العصمة الذي

ذكرتموه

71

ذكرتموه في حقهم مع انهم ليسوا معصومين وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
كثير لم يصدر منهم الكفر ولا الكبائر وليسوا بمعصومين فلا يكفي في العصمة ان معناها
عدم صدور المعصية بل لا بد من تحرير في هذا المقام وهو انا نقول فاعل النقائص
مستحيلة على الله تعالى والمعاصي مستحيلة على الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام
وعلى الامة المحمدية اعني مجموعها وافراد الامة كل واحد منهم استحالت منه صدور المعاصي
التي لم يقدر عليها لقعلها اهل العرف العام من العصمة ان لا يخبر عنه اشترك الجميع
في امتناع صدور النقائص عنهم ولا يخاف ان لكل واحد من هذه المواطن ضابطا
عقليا فاما تقديس الله تعالى وامتناع النقائص عليه فقد اجتمع فيه امور احدها
انه لذاته تعالى وجب ذلك له من غير سبب شيء وثانيها انه لما كان كذلك علم
الله ذلك فوجب ذلك لاجل العلم وثالثها انه تعالى لما علم بواجب اخبر عنه فصار
واجبا لاجل الخبر واما عصمة الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام ومجموع الامة
المحمدية فالاستحالة في حقهم والعصمة من باب واحد وهو ان معناها اخبار
الله تعالى النفساني واللساني عن حالهم كذلك واجتمع مع ذلك علم الله تعالى بذلك
وارادته له فتكون العصمة اذن واستحالة المعصية عليهم ناشئة عن اربعة امور
العلم والخبر النفساني واللساني والارادة وفي حق الله تعالى عن اربعة امور غير ان
الارادة يستحيل دخولها فيه لا تتعلق بالمستحيل على الله تعالى لانه مستحيل لذاته والارادة
لا تتعلق الا في الممكنات ودخلت الارادة في عصمة الملائكة والانبياء ومجموع الامة لانه
من باب الممكنات عقلا وليس ذلك لذواتهم كما في حق الله تعالى واما عصمة الصحابة
وآحاد الامة الذين لم يصدر عنهم معاص خاصة وكذا من لم يقدر على المعصية فهو
متعلق بثلاثة امور فقط العلم والارادة والخبر النفساني لانه من لوازم العلم وهو
معنى قول العلماء كل عالم مخبر عن معلومه وليس في حقهم خبر لساني بمعنى انه لم ينزل
نص من الله تعالى ان فلانا لا يصدر منه كذا من المعاصي فهذا القدر الذي هو
الكلام اللساني امتازت الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام ومجموع الامة واما
اصل الامتناع فمشترك بل ما من احد الا وقد عصمه الله تعالى من معصية وليس
احد من خلق الله تعالى جمع بين جميع المعاصي حتى لا تبقى معصية مقصودة له
الا وقد وقع فيها فحصل في عصمته الامور الثلاثة المتقدم ذكرها بيننا الامتناع في
حق الله تعالى بانه لذاته وتعذر الارادة فيه وتمتاز عصمة الانبياء والملائكة عليهم
الصلاة والسلام ومجموع الامة بالخبر اللساني ويبقى الخبر النفساني والعلم والارادة
مشتركة بين عصمة الانبياء والملائكة واحاد الامة ومجموعها ويكون العلم والخبر النفساني
مشتركا بين المواطن كلها في الاستحالة على الله تعالى وعلى غيره فهذا تلخيص العصمة
والاستحالات وما اشتركت فيه وما امتازت به فمتى قلنا الانبياء معصومون

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)